الفصل العاشر

الاتحاد الألمانى

ساعد انتصار الحركة القومية فى ايطاليا بعد تخلصها من الحكم النمساوى على احياء الأمل فى انشاء الاتحاد الألمانى خاصة وان النمسا كانت الخصم المشترك لكل من ايطاليا والمانيا ، حيث تركزت جهودها فى العمل على كبت الحركات القومية فى أوربا وتحقيق أطماعها هناك لذلك قام المستشار النمساوى « مترنخ » بتوجيه الولايات الألمانية الى اجتماع فى « كرلسباد » فى عام ١٨١٩م وحصل على موافقتها على قرارات رجعية ضد مبادىء الحرية والمطالبة بالدستور كما نجح فى تكميم أفواه الصحافة .

هذا فى الوقت الذى اتجهت فيه بروسيا الى زعامة المانيا ، واستطاعت ان تضع اسسا قوية لاقامة اتحاد المانى تحت زعامتها وساعدها على ذلك عدة عوامل هى :

١ — ظهور السياسى الشهير « أوتوفون بسمارك » Otto Von Bismarch على مسرح الأحداث وقدرته الفائقة على مواجهة المشاكل ، ومقدرته السياسية الفذة ونجاحه فى الوصول الى ادارة الحكم فى بروسيا وهو يحمل برنامجا يسعى لتحقيقه بطريقة علمية ألا وهو اقامة الوحدة الألمانية ونتيجة لذلك جذب الأنظار اليه خاصة وانه كان خطيبا مفوها ذرب اللسان لا يتراجع عن المضى فى تحقيق أهداف بلاده ولو كان ذلك على حساب المبادىء .

٢ — تولية وليم الأول زمام الأمور فى بروسيا عام ١٨٥٨م وقيامه بالعمل على أن تصبح بلاده دولة قوية وذلك عن طريق تنظيم الجيش البروسى وزيادة اعداده .

٣ ــ ادراك المسئولين فى بروسيا لأهمية الوحدة الاقتصادية بين الولايات الألمانية ، فقاموا بتأسيس الاتحاد الجمركى (الزولفرين) الذى كان له أكبر الأثر فى تجميع شمل الولايات الألمانية المتفرقة وتخليصها من المكوس الجمركية ، فبعد أن كانت بروسيا مقسمة الى عدة مناطق جمركية ، وكل منطقة لها ضرائبها الخاصة ، تم الغاء هذه الحواجز مما ساعد على رواج التجارة الداخلية .

وسرعان مابادرت كل من بافريا وسكسونيا الى الانضمام الى ذلك الاتحاد مما ادى الى ظهور العديد من النتائج الايجابية .

٤ ــ اتجاه الحركة الثقافية فى الولايات الألمانية صوب أهداف قومية ، وعرضها لأفكار « هيجل » و « نيتشه » عن الدولة التى يجب أن تتمثل فيها وحدة الثقافة ، وعن دور الفرد فى خدمة الدولة ، ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من المثقفين تنادى بوحدة المانية عن طريق برلمان يضم الأمة الالمانية كلها .

٥ ــ تنظيم الجيش البروسى وتجديده تحت قيادة « فون رون » Von Roon الذى يتمتع بقدر كبير من الكفاءة العسكرية ، مما قلب التوازن العسكرى فى وسط أوربا رأسا على عقب .

ونتيجة للتنافس بين بروسيا والنمسا على تزعم الاتحاد الألمانى ، اشتد العداء بينهما الى حد النفور ومن أجل تفويت الفرصة على بروسيا فى قيادة الاتحاد الألمانى قامت النمسا بدعوة الأمراء الألمان لمؤتمر فى « فرنكفورت » للنظر فى الاصلاحات الدستورية المطلوبة حتى يتم تثبيت نفوذها فى المانيا ، ونتيجة لذلك فكر بسمارك فى احباط هذه الفكرة ، فاعترض على قيام النمسا بالدعوة لمثل هذا المؤتمر ورأى الا تمثل بلاده فيه . ولما افتتح المؤتمر فى الرابع عشر من أغسطس ١٨٦٣م رأى بسمارك ضرورة توجيه ضربة الى النمسا ، فأرسلت حكومته بمذكرة الى المؤتمر اقترحت فيها بأنه يجب عند قيام اى اصلاح للاتحاد أن تكون بروسيا على قدم المساواة مع النمسا فى مسألة رئاسة الاتحاد ، وفى رفض التصديق على اشهار الحرب . وخلال ذلك الوقت حدثت ثورة فى بولندا ضد الروس ،

قامت روسيا باخمادها بقسوة وعنف مما أدى الى استنكار معظم شعوب أوربا لذلك العمل ومطالبتها للروسيا بمنح بولندا استقلالا داخليا ، ولما دعيت بروسيا للاشتراك فى هذا الاستنكار ، ظهرت براعة بسمارك السياسية حيث انتهز هذه الفرصة فى العمل على التقرب من الروسيا وعدم مضايقتها حتى تقف بجانبه أثناء تنفيذ خططه خلال عمله على توحيد بلاده ، ضاربا بذلك اتجاه الرأى العام فى بريطانيا وفرنسا ومعظم دول أوربا عرض الحائط فعقد تحالفا مع روسيا حتى يضمن حدود بلاده الشرقية آمنة فى حالة اعلانه الحرب على النمسا أو فرنسا ، اللذين كان يجد فيهما خصمين للوحدة الألمانية يجب قهرهما ، ومع أن هذا الموقف اغضب الدول الأوربية وأثار المعارضة فى البرلمان البروسى فقد صمد بسمارك للعاصفة وظل على موقفه .

مسألة الشلزويج والهولشتين :

منذ أن استلم بسمارك زمام الأمور فى بروسيا كان يدرك مقدار العداء الذى تكنه النمسا للوحدة الألمانية ، مما جعله يعد العدة لمواجهتها حربيا ، وقد واتته الفرصة فى عام ١٨٦٦ عندما حدث الخلاف بين النمسا وبروسيا حول مقاطعتى الشلزويج والهولشتين .

وموضوع هاتين الدوقيتين هو أن ملوك الدنمارك كانوا يحكمونها منذ عام ١٤٩٠م ، ثم صارتا مكان خلاف بين الدنمارك من جهة وبروسيا والنمسا من جهة أخرى ، خصوصا وان سكان هاتين المنطقتين كانوا يرغبون فى الانفصال عن الدنمارك واعلان الاستقلال عنها ، كما كان معظمهم من أصل ألمانى ، وكانت الدنمارك تتوق الى ضم هاتين الدوقيتين بصفة قاطعة الى ممتلكاتها ، كما كانت بروسيا والنمسا يتوقان أيضا الى ضمهما دون أى حق شرعى أو تاريخى لهما فيها ، وقد أدى ذلك الى ظهور نذير الحرب ومع أن بسمارك كان يرغب فى ضم هاتين الدوقيتين الى بلاده ، فانه خشى أن يتورط فى مشكلة سياسية قد تلحق الضرر بمستقبله السياسى ، ومن هنا رأى أن يشرك النمسا معه ، ونتيجة لذلك اشتركت النمسا بقواتها مع بروسيا فى محاربة الدنمارك وتمكنا من هزيمتها . وتقسيم الدوقيتين بينهما فأخذت بروسيا دوقية الشلزويج ، وأخذت النمسا دوقية الهولشتاين ،

ولما قام البروسيون فى حفر قناة تصل بين بحر البلطيق وبحر الشمال ، اعترضت النمسا على ذلك لاعتقادها أن فيه تقوية لنفوذ بروسيا على حساب مصالحها ، وتعقدت الأمور ، واتضح لبسمارك أن المشكلة لن تحل الا عن طريق الحرب خاصة وأنه كان يثق فى قوة جيشه ، ومع ذلك فانه أراد أن يضم ايطاليا الى جانبه حتى يشغل القوات النمساوية على جبهتين كما أراد أن يضمن حياد فرنسا خلال حروب بلاده مع النمسا .

وبالنسبة لايطاليا فقد وجه بسمارك جهوده لعقد محالفة معها ، وقد نجح فى أن يحصل منها على تعهد بأن تنضم الى بلاده فى حالة وقوع حرب بينهما وبين النمسا بشرط أن تساعد بروسيا ايطاليا فى الحصول على البندقية .

وبالنسبة لفرنسا فقد قابل بسمارك الامبراطور الفرنسى نابليون الثالث[1] وحصل منه على موافقته بحياد بلاده اذا وقعت الحرب بين بروسيا والنمسا وبذلك تمكن بسمارك فى تطويق النمسا ، وبقى أمامه القيام باستثارتها حتى تبدأ باعلان الحرب على بلاده لذلك بدأ فى اثارة المشاكل معها ، وفى نفس الوقت حاول أن يظهر أمام الولايات الألمانية والرأى العام الأوربى بمظهر المدافع عن حرية الشعوب ، واظهار النمسا من جهة ثانية بمظهر الدولة المعادية لحقوق الشعوب وللديمقراطية فاقترح على المجلس الاتحادى « الدايت Diéte » أن تكون وفود الدول ممثلة لشعوبها لا لحكوماتها ، مما أثار النمسا فأعلنت معارضتها لهذا الاقتراح ، كما قطعت علاقاتها مع بروسيا فى ١٥ يونيو ١٨٦٦ وبدأت فى الاستعداد للحرب ، وهذا ما كان يسعى اليه بسمارك .

وقد بدأت الحرب بين الدولتين فى منتصف يونيو ١٨٦٦ ، فأرسلت النمسا قوات قوامها مائتان وثلاثون ألف جندى لمواجهة القوات البروسية ، وفى ٣ يوليو ١٨٦٦ حدثت معارك حاسمة بين الطرفين ظهرت فيها براعة الجيوش البروسية ، وتميزها بالدقة العسكرية ، فاستطاعت سحق

---

(١) ابن أخو نابليون بونابرت .

القوات النمساوية التى واجهتها من الشمال الغربى فى الأسبوع الأول من بداية الحرب ولم ينته الأسبوع الثالث من الحـرب حتى سحقت القوات البروسية الجيش النمساوى فى معركة « سادوا » Sadowa وأصـبح الطريق الى العاصمة النمساوية مفتوحا ، ولكن بسـمارك لم يرغب فى اذلال النمساويين بدخول عاصمتهم وخاصة وأنه كان يريد وقوفهم عـلى الحياد فيما اذا حارب فرنسا ومن هنا قبل الوساطة الفرنسية التى طلبتها النمسا ، وقد تم الاتفاق على ضرورة المحافظة على سلامة الأراضى النمسوية فى نظير أن يتم حل الاتحاد الجرمانى الذى تتزعمه النمسا ويكون لبروسيا الحق فى انشاء اتحاد شمالى المانى كما يصبح لها الحق فى حكم الدوقيتين شلزويج وهولشتاين ، وقد وافق بسمارك على هذه الشروط ، لأن هدفه الرئيسى كان اقامة الوحدة الالمـانية وليس اذلال النمسا أكثر من ذلك .

نعود الى موقعة سادوا ونتائجها . الواقع أن انتصـارات الجيش البروسى فى هذه الموقعة قد قلب التوازن الدولى فى وسط اوربا واثبتت نجاح خطط بروسيا الحربية ، وتفوق مدفعيتها ، والمهارة فى سرعة التعبئة ودقة الحركات ، مما ازعج الفرنسيين الذين أصبح الخطر يتهددهم خصوصا وانهم شعروا بأن وجود دولة المـانية موحدة على حدودهم الشمالية يهدد سلامة بلادهم وباتوا يطالبون امبراطورهم نابليون الثالث باحـراز بعض المكاسب للفرنسيين ، مما اضطره الى أن يطالب بروسيا ببعض التعويضات الاقليمية التى رفضها بسمارك وعلى كل حال فما أن انتهى بسـمارك من النمسا الا وأخذ يستعد لمواجهة فرنسا ، ومع ذلك فقد كان يهمه أن تكون فرنسا هى البادئة بالعدوان ، أو تظهر أمام الرأى العام الأوربى أنهـا المعتدية ، حتى يوجد المبررات التى تجعله يخوض الحرب ضدها .

ونتيجة لفشل سياسة نابليون الثالث فى حل مشاكل بلاده الداخلية بدأ يفتش عن انتصارات عسكرية أو سياسية يستطع بها تقويـة أركان حكمه ، هذا ما جعله يغامر بالدخول فى حروب خارجية حتى يشغل الرأى العام الفرنسى عن الاهتمام بمشاكل فرنسا الداخلية .

ولمـا اثيرت مسألة وراثة العرش الأسـبانى الشـاغر بعد فرار ايزابيلا ملكة اسبانيا من بلادها ، نتيجة لقيام الثـورة ضدها عام ١٨٦٨م

عرض على بساط البحث اختيار الأمير ليوبولد قريب قيصر بروسيا ، وكان ذلك مخالفا لرغبة فرنسا لأنه قد يؤدى الى احاطتها بالأعداء مما جعل امبراطورها يعترض على ذلك الترشيح بصورة علنية .

ولما عرض الأمر على الأمير ليوبولد تردد فى القبول ورأى عرض الموضوع على ملك بروسيا ، ولكن بسمارك انتهز هذه الفرصة ونجح فى اقناع الملك والأمير بالقبول ، ولما علمت فرنسا بما حدث زاد فوران الغضب لدى الرأى العام الفرنسى وكلفت الحكومة الفرنسية سفيرها فى برلين بمقابلة ملك بروسيا الذى كان يقضى فصل الصيف فى « امز » Ems ليطلب منه التدخل لوقف الترشيح ، وقد تمكن من ذلك ، ولكن الحكومة الفرنسية طالبت بالحصول على تعهد كتابى ، وألا يسمح للأمير « ليوبولد » بقبول هذا المنصب فى المستقبل ، ولما حاول السفير الفرنسى مقابلة ملك بروسيا للمرة الثانية رفض الملك وليم اجابة هذا الطلب .

وقد انتهز بسمارك هذه الفرصة وسعى لاحباط أى محادثات تقرب بين الدولتين كما قام بعقد محالفة بين بلاده وأسبانيا ، وعندما أرسل الملك البروسى الى بسمارك برقية بخصوص مقابلته مع السفير الفرنسى ، نشرها فى الصحف باسلوب أثار الشعور الوطنى فى كل من الدولتين فقام بتغيير بعض ألفاظها بحيث يبدو لمن يقرأها أن السفير الفرنسى قد أهان الملك ، وأن الملك رد هذه الاهانة أضعافا ، مما أثار الشعب الفرنسى وطالب بالحرب ، واضطر الامبراطور الفرنسى ، الى استدعاء قوات الاحتياطى واعلان الحرب على بروسيا ، وكان هذا ما يسعى اليه بسمارك . وبالنسبة لموقف أوربا من هذه الحرب فقد وقفت أوربا تقريبا على الحياد مما جعل فرنسا تقف وحدها أمام بروسيا ، ومع أن جيش فرنسا كان منظما فقد كان الجيش البروسى أكثر تنظيما ، وبدلا من أن ينقل الجيش ساحة القتال الى جنوب المانيا انقض الجيش البروسى عليه وحطمه تحطيما خلال شهر واحد من قيام الحرب وتقدمت القوات البروسية داخل الأراضى الفرنسية بعد هزائمها للقوات الفرنسية فى مواقع متتالية اضطرتها الى الانسحاب من اقليمى الالزاس واللورين ، ولما تقدمت القوات البروسية نحو باريس اضطر الامبراطور نابليون الثالث الى التنازل عن القيادة العليا للجنرال

« بازين » Bazaine الذى أظهرت الأحداث أنه لم يكن مؤهلا لهذا المنصب حيث كان دائم التردد والتباطؤ مما أفقد الجيش الفرنسى توازنه ، وأدى الى نجاح القائد البروسى « فون ملتكة » فى تطويق الجيش الفرنسى فى « سيدان » وانزال هزيمة ساحقة به مما أرغم حوالى مائة ألف من القوات الفرنسية على الاستسلام ، ووقوع الامبراطور نابليون الثالث فى الأسر ، واجباره على التسليم فى ٢ سبتمبر ١٨٧٠ .

ولقد كان لكارثة سيدان أثر سريع على تطور الموقف فى باريس فقد تعالت الأصوات تطالب باعلان جمهورية مؤقتة كى تتولى الدفاع عن فرنسا وتحاول اخراجها من أزمتها ونتيجة لذلك سقط النظام الامبراطورى فى فرنسا وألفت حكومة برئاسة « جمبتا » كان جل همها انهاء حالة الحرب بأسرع ما يكون ، على أن لا تفقد فرنسا شيئا من أراضيها . ونظرا لاصرار المانيا على ضرورة تنازل فرنسا عن بعض أراضيها استؤنفت الحرب وانتهت بحصار الألمان لباريس وتعرض سكانها للمجاعة ، ونتيجة لذلك نقلت القيادة الحربية الفرنسية مقر قيادتها الى مدينة تور حتى تتمكن من ادارة المعارك ضد الغزاة من هناك ، وخلال ذلك تمكن الزعيم الفرنسى جمبتا Gambetta من جمع جيش بلغ تعداده حوالى مائة وثمانين ألف جندى لمحاربة الغزاة ودارت رحى المعارك حتى اجبرت باريس على الاستسلام فى ٢٨ من يناير ١٨٧١ ، واضطر الباريسيون الى فتح باب المفاوضات مع الألمان والتى أصر بسمارك من خلالها على أن يقوم الفرنسيون بانتخاب جمعية وطنية يكون فى مقدورها أن تقبل أو ترفض الصلح مع الألمان مقابل فقدها لبعض أراضيها .

ونظرا لاصرار جمبتا على عدم التنازل عن شبر واحد من أراضى بلاده ، ورغبة من الفلاحين الفرنسيين فى احلال السلام فقد عقدت الجمعية الوطنية اجتماعا فى مدينة بوردو قررت فيه الموافقة على الصلح مع الألمان وانتخاب « تيير » Thiers رئيسا للسلطة التنفيذية فى فرنسا ومنحه تفويضا باجراء مفاوضات الصلح على أن الموقف فى فرنسا سرعان ما اشتعل فجأة ، وخرج من يد الجمعية الوطنية حيث قامت ثورة فى فرنسا تزعمتها الطبقة العاملة والمتوسطة وأقامت حكومة جديدة فى باريس ، وهى الحكومة

التى يطلق عليها البعض « كومون باريس » والتى يعتبرها بعض المؤرخين أول محاولة فى التاريخ الحديث لاقامة حكومة اشتراكيـــة باســـلوب الفهم المـــاركسى .

وقد أعلن كومون باريس الثورة على الجمعية الوطنيـــة وناشد المدن الفرنسية الأخرى أن تحذو حذوه ليس فقط من أجل الدفـــاع عن استقلال فرنسا ضد الغزو الألمـــانى ولكن أيضا للكفاح من أجل بناء نظام اشتراكى وابعاد القوى الملكية عن الحكم ، وبالفعـــل تكونت فى فرنســـا كومونات متعددة . ولكن الجمعية الوطنية بزعامة « تيير » استطاعت القضاء عـــلى هذه الكومونات بسرعة حيث قررت استخدام جيشها المنهـــزم أمام المـــانيا فى القضاء على هذه الحركة . فدخل الجيش الفرنسى باريس واستعمل كافة أنواع البطش والقتل فى الثوار حتى قضى فى باريس وحدها على ما يقرب من ١٣ ألف من الثوار .

وابان هذه المعارك كان « تيير » يقوم بالمفاوضات مع بسمارك تلك المفاوضات التى انتهت بصلح فرنكفورت فى مـــايو ١٨٧١ والتى بمقتضاها أجبرت فرنسا على التنـــازل عن الألزاس وشطر كبير من اللورين وكذلك مدينة « متز » وفرض عليها غرامة حربية قدرها خمسة مليون فرنك تجمع فى خلال ثلاث سنوات ثم تدبير ما يحتاج اليه الجيش الألمـــانى حتى يتم دفع هذه الغرامة .

ولتقل وطأة الاحتلال الألمـــانى الجاثم عـــلى صـــدر أراضى فرنســـا الشمالية ، قام « تيير » بالتعجيل فى دفع الغرامة عن طريق القروض الداخلية واستطاع أن يدفعها فى ظرف ستة أشهر ويخلص فرنسا من استمرار اذلال المـــانيا لها لدرجة أن أطلق عليه الفرنسيون محرر الوطن .

وقد استغل بسمارك انتصارات بلاده على فرنسا وبدأ فى التفاوض مع ملوك وأمراء الولايات الألمـــانية من أجل تحقيق وحدة المـــانيا تحت زعامة بروسيا ، وتم اختيار النظام الاتحادى كنظام للدولة الألمـــانية الجديدة ، واختيار الملك « وليم الأول » امبراطورا لألمـــانيا .

وفى قصر المرايا بفرساى أعلنت الامبراطوريـــة الألمـــانية ، وتم من

خلالها اقامة دولة المـــانية موحدة فى الشئون الخارجية والعسكرية برئاسة وليم الأول ملك بروسيا الذى حمل لقب قيصر المـــانيا ، وبذلك دخلت المـــانيا فى عداد الدول العظمى .

وبعد أن حقق بسمارك لألمـــانيا وحدتها تغيرت سياسته التى كانت تستند على ضرورة دخول بلاده الحـــروب حتى يتحقق لها الوحـــدة الى سياسة الحيلولة دون وقوع حرب فى أوربا خصوصا وانه كان يعتقد أن المانيا تحتاج الى السلم حتى تستطيع الاحتفاظ بالانتصارات التى أحرزتها وقد ساعده على ذلك أن أوربا كانت منشغلة بالمشكلات التى أعقبت الثورة الصناعية وما نتج عنها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية ، ونتيجـــة لذلك استمر السلام فى أوربا لأطول فترة فى تاريخها الحديث ، وهى الفترة ما بين ١٨٧٠ — ١٩١٤م .

ولمـــا كانت عملية توحيد المـــانيا قد تمت عـــلى حســـاب انتزاع الألزاس واللورين من فرنسا وضمها للاتحاد الألمـــانى وكان بسمارك على قناعة تامة بأن الفرنسيين ، وان رضوا مؤقتا بالأمر الواقع فانهم سيحاولون استرجاع ما أخذتـــه منهم المـــانيا عن طريق اقامـــة تحـــالف دولى معاد للامبراطورية ، ومن هنا بذل بسمارك شتى الجهود لعزل فرنسا دبلوماسيا وافشال مخططها فى تكوين اى تحالف ضد المانيا فبدأ الاتصال بامبراطوريتى النمسا والمجر ، والروسيا وفى عامى ١٨٧٢ ، ١٨٧٣م تم الالتقاء مع زعماء هذه القـــوى فى برلين ، ودخلت العلاقـــات بـــين المـــانيا والامبراطوريتين الكبيرتين مرحلة الاتفاقات والمواثيق فعقدت اتفاقية سرية بتبادل المساعدات العسكرية بين المـــانيا وروســـيا اذا هوجمت احداهما من جـــانب دولة ثالثة ، كما عقد اتفاق آخر وقعته فى روسيا والمـــانيا والنمســـا ويتضمن تشاور هذه الدول فى الوصول الى تفاهم مشترك حول خطة العمل الحربى فى حالة الاعتداء من جانب دولة أخرى على احدى دول التحالف .

وقد أطلق على هذا الوفاق والتفاهم اسم « عصبة الأباطرة الثلاثة » ويبدو ان هذه العصبة كانت تحمل معـــول هدمها فى يدها حيث اصطدمت مصالح روسيا القيصرية فى البلقان مع مصـــالح النمسا مما أحرج وضـــع المـــانيا وفرض عليها أن تختار بين ارضاء النمسا أو ارضاء الروسيا ، ولما

رأى بسمارك أن ارتباط مصالح بلاده بالنمسا أكثر منها مع الروسيا سارع بتوثيق تحالفه مع فينا ، وعقد معها اتفاقا فى اكتوبر ١٨٧٩ يقضى بأن تقدم كل من المانيا والنمسا المساعدة للأخرى بكل قواها العسكرية اذا هوجمت احداهما من جانب روسيا القيصرية أما اذا هوجمت احدى الدولتين من جانب دولة أخرى غير الروسيا ، فان الدولة الثانية تقف موقف الحياد المشوب بالتعاطف تجاه حليفتها وقد ظل هذا التحالف يمثل حجر الزاوية فى سياسة المانيا الخارجية ، كما كان محورا للارتكاز الذى قصد به بسمارك عزل فرنسا عن الدول الأوربية الكبرى .

ولما حاول بسمارك ضم ايطاليا الى التحالف الثنائى ليصبح تحالفا ثلاثيا لم يجد فى ذلك صعوبة نظرا لأن ايطاليا كانت حريصة على أن تتحالف مع دولة كبرى مثل المانيا يمكن أن تساندها فى التخلص من مشكلاتها الداخلية وخاصة مع البابوية التى تعتمد على ولاء العالم الكاثوليكى لها وأيضا فى تحقيق أحلامها التوسعية بعد أن خاب أملها فى الاستيلاء على تونس حيث سبقتها فرنسا واستولت عليها فى عام ١٨٨١م لذلك رحبت ايطاليا بالانضمام الى التحالف الثنائى فى عام ١٨٨٢ فنشأ التحالف الثلاثى من برلين — فينا — روما ثم اتسع بعد ذلك فشمل رومانيا والصرب .

هذه كانت سلسلة التحالفات التى أوجدها بسمارك بغرض عزل فرنسا واضعاف موقفها ، وقد مكنت هذه التحالفات من عزل فرنسا عزلا يكاد يكون تاما .

وعند تحليلنا لمصادر القوة والضعف فى هذه التحالفات يتضح ما يلى :

أولا — نواحى القوة :

١ — سهولة الاتصال بين القوى المتحالفة حيث أنها تتمركز فى منطقة متقاربة .

٢ — ضخامة القوة الاقتصادية للدول المتحالفة .

ثانيا — نواحى الضعف :

١ — ان هذا التحالف ضم دولتين متنازعتين هما النمسا والصرب ؛ مما أدى الى اثارة المشاكل القائمة بينهما داخل التحالف .

٢ — وجود ثغرات واضحة داخل نصوص المعاهدات تمكن بعض دول التحالف من عدم الالتزام بالمواثيق عند اللزوم وتفسيرها بالطريقة التى تتلاءم مع مصلحتها .

فعلى سبيل المثال استخدم ضمن النصوص تعبير « العدوان غير المستفز » بمعنى أن أى دولة داخلة فى الحلف ليست ملزمة بالدخول فى الحرب الا اذا اعتدى على حليفتها من قبل دول أخرى أما اذا استفزت حليفتها دولة أخرى مجاورة لدرجة تدفعها الى الحرب فان دخول دول الحلف لمساعدتها ليس ملزما ولنضرب أحد الأمثلة لتوضيح ذلك .

اذا اعتدت فرنسا على المانيا فان على ايطاليا أن تسارع لمساندة المانيا أما اذا عمدت المانيا الى استفزاز فرنسا الى الدرجة التى تدفع فرنسا لمهاجمة المانيا فان ايطاليا ليست ملزمة فى هذه الحالة بالدخول فى الحرب .

وعلى أى حال قد تمكن بسمارك بهذه التحالفات من عزل فرنسا عن بقية الدول الأوربية ويبقى أن نتحدث عن جانب آخر من سياسة بسمارك الدولية وهو دخول المانيا فى المجال الاستعمارى لقد حاول بسمارك فى بداية الأمر ابعاد بلاده عن المجال الاستعمارى خارج أوربا حتى لا يزعج بريطانيا ، ويدفعها الى التقارب مع فرنسا ، ولكن ظروف النمو الصناعى داخل بلاده كانت أقوى من أن يقف بسمارك أمام الرغبة فى تكوين مستعمرات للحصول منها على المواد الخام اللازمة للصناعة وأيضا لتصريف المنتجات التى تقوم المصانع الألمانية بتصنيعها ونتيجة لذلك تأسست الجمعية الالمانية الاستعمارية فى عام ١٨٨٢م ، كما بدأت فكرة تكوين مستعمرات المانية خارج أوربا تسير الى حيز التنفيذ فأسس الألمان أربع مستعمرات فى جنوب غرب وشرق افريقية (مثل الكامرون وتوجلاند) كما امتد نفوذهم ناحية الشرق الأقصى فوصلوا الى غينيا الجديدة (ايريان الغربية) واستطاعوا الحصول على قاعدة بحرية فى جزر مارشال بمنطقة الباسيفيك ، كل ذلك جعل الدول الأوربية تعترف بالمانيا كدولة استعمارية وأكبر دليل على ذلك أن المؤتمر الذى عقدته الدول الأوربية بشأن تسوية نزاعها حول افريقية عقد فى برلين عام ١٨٨٤م ورأس المؤتمر بسمارك نفسه .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان بسمارك يعمل على ارضاء بريطانيا والتقرب منها ، لدرجة ان علاقات بلاده معها كانت طيبة للغايـــة ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا ، فعندما توفى الامبراطور الالمـــانى وليم الأول فى عام ١٨٨٨م بدأت سياسة بسمارك الخارجية فى الانهيار ، وبخاصة عندما وصل الامبراطور الشاب وليم الثانى الى الحكم وقيامه بتنحية بسمارك من منصب المستشارية فى عام ١٨٩٠م وتولية « فون كابريفى » Von Caprivi مكانه ، وذلك للخلاف بينهما حول الموقف من روسيا القيصرية وزيادة التوسع الاستعمارى .

ونتيجة لعدم ارتياح بريطانيا والروسيا من سياسة الامبراطور الألمانى الجديد ، بدأ التقارب البريطانى الفرنسى يأخذ طريقه ، مما نتج عنه عقد الاتفاق الودى بينهما فى عام ١٩٠٤ كما مهد الطريق لظهور التحالف الروسى الفرنسى فى عام ١٨٩٤م وادى أخيرا الى قيام التحالف الانجليزى الروسى الفرنسى فى عام ١٩٠٧ فيما يعرف الوفاق الثلاثى .

ثم أخذت علاقات انجلترا مع المـــانيا طريقها الى التدهور خصوصا بعد أن قام الامبراطور الألمـــانى بمساندة البرتغال ضد بريطانيا فى حـــرب البوير ، ومحاولاته المتكررة للحصول على المزيد من المستعمرات والقواعد البحرية ، ورغبته فى انشاء بحرية المـــانية قوية تنافس القوى البحريـــة البريطانية ، وايجاده للعديد من المشاكل والتى نجم عنها على سبيل المثال الأزمة المراكشية ووقوف بريطانيا بجانب فرنسا خلال هذه الأزمة .

وعند تحليلنا لمجمل الانجازات التى تحققت فى عهد وليم الثـــانى فى المجال الاستعمارى نجدها ضئيلة فعلى الرغم من أن وليم الثانى كان صاحب فكرة نزول المـــانيا بـــكل ثقلها الى المجـــال الاستعمـــارى فان محصـــلة المستعمرات التى حصلت عليها المـــانيا فى عهده كان أقل من المستعمرات التى حصلت عليها فى أيام بسمارك ، والى جانب ذلك فان بلاده فقـــدت الكثير فى المجال الدولى عما كان عليه الحال خلال تواجد بسمارك ، كما انها فقدت صداقة انجلترا وأدى الى تقاربها مع فرنسا .

وعلى أى حال فقد حاولت المـــانيا ممارسة ظاهرة استعمارية جديدة

تمثلت فى الرغبة فى الحصول على الثروات الاقتصادية التى تحتـــاج اليها دون ان يكون ذلك عن طريق الاستعمار المباشر ، وهذا ما يطلق عليه اسم الامبريالية ولتحقيق ذلك عملت المـــانيا على تنفيذ عدة مشروعات من أهمها :

١ ـــ مشروع وسط أوربا Mittle Europa .

٢ ـــ مشروع الاتجاه نحوالشرق Drang Nach Osten .

وقد قصد وليم الثانى بالمشروع الأول تكوين اتحاد جمـــركى فى وسط أوربا لزيادة الروابط الاقتصادية بينها مما يتيح لألمـــانيا اجتذاب الناطقين بالألمـــانية الذين يعيشون خرج حدودها ، واستغلال هيكلها الاقتصـــادى الكبير فى الهيمنة على تلك المنطقة .

أما المشرع الثانى وهو الاتجاه نحو الشرق فالهدف منه الوصول الى ممتلكات الدولة العثمانية فى الشرق عن طريق بناء سكك حديدية ، وربط اقتصادها بالمـــانيا عن طرق المواد الخام بها ، وجعل هذه البلاد سوقـــا لتصريف المنتجات الصناعية الألمـــانية .

وقد عارضت انجلترا والروسيا هذه المشروعات معارضـــة شديدة ثم جاء قيام الحرب العالمية فأوقفها تماما[٢] .

---

(٢) محمد أنيس : تاريخ أوربا المعاصر .